

الشيخ حسين العباد : محسن اللسان (الصدق)

ما هو المدق :

المدق هو الإخبار بما يطابق الواقع. وجميع محسن اللسان تنطلق من هذه القاعدة، فإذا كان الإنسان صادقاً مع الله تعالى ومع نفسه والناس، تكون محسنه كثيرة.

وليس المدق من الأمور الصعبة، فعندما يعتاد الإنسان على المدق منذ الصغر والطفولة، فسوف يسير على هذا النهج طيلة حياته. فالصدق ممارسة وليس نظرية، أي أن الإنسان عندما يتحلى بالصدق مع أهله ومحبيه وأسرته وجيرانه ومجتمعه فسوف تكون هناك ثمار تتعكس على الإنسان حتى يكون المدق ملكة نفسانية سامية، وقوية إرادية، يستطيع بموجبها الإنسان أن يبرهن على حسن خلقه. فعندما يُمدح الإنسان ويثنى عليه فلا بد أن يراجع نفسه، ويسأله: هل هو صادق؟ إن كان صادقاً مع العناوين التي ذكرناها، مع أهله وعياله وأسرته ومجتمعه وجيرانه، فسوف يبرهن على حسن خلقه. أما إذا كان يمدح ويثنى عليه وهو ليس بصادق بينه وبين نفسه أو عياله أو مجتمعه، وبالتالي تأكيد سوف يبرهن على سوء خلقه بالكذب، الذي تقدم الحديث عنه.

ثم إن المدق يكشف عن الطهارة في ذات الإنسان، فالصادق يكشف من خلال سلوكه وحديثه عن طهارة ذاته. كما أنه يؤدي إلى حصول التقدير والاحترام للصادق من المجتمع، فيشار له بالبنان على أنه صادق ويثق به الجميع، فإن تقدم لخطبة امرأة كان محل ثقتها وثقة أهليها. وفي الحديث: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلق فزوجوه». [عوالى الالئ، ابن أبي جمهور الأحسائى: 340]. وعلى رأس المواصفات في الخلق الحسن المدق.

ومن أصناف المدق وأنواعه أن لا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان. فمن أخبر بما لا يطابق الواقع، أي واقع كان، فهو كاذب. فالبعض يختلف الأحاديث أحياناً لكي يكون له وجود في مجلس ما. فالمعيار لديه في أن يشار له بالبنان في مجلس أن يتحدث بما لا يطابق الواقع. وهذا كذب مذموم في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ وأهل البيت (ع).

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوْنُوا مَعَ﴾

الصَّادِقِينَ [الْتَّوْبَةِ: 119]. صحيح أن المصدق الأكمل والأبرز للصادقين هم محمد وآل محمد، إلا أن لسان الآية عامٌ، وينطبق على من دونهم من الصادقين. فما تعلى يطلب منا أن تكون في حزب الصادقين، ابتداءً من رأس الهرم محمد وآل محمد، وانتهاءً بكل صادق. أي أن المؤمن لا يمكن أن يكون إلا في جهة الصادقين. أما الكاذب فهو مريض لا بد من علاجه وإصلاحه، فالمريض إن لم يعالج سيكون ضرره على نفسه والمجتمع كبيراً جداً. وقد ذكرنا فيما سبق الكثير من الآيات والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن جاءك أحد بخبر فلا بد لك أن تتأكد منه قبل ترتيب الأثر عليه. بل إذا كان الخبر مسيئاً لمؤمن، حتى لو حلف لك من جاءك به بأغلظ الأيمان فلا تصدقه، بل لو جاءك بشهود وأنكر المؤمن ذلك، حتى لو بلغوا خمسين قسامة بحسب الروايات الشريفة. وفي الحديث الشريف عنهم (ع) : «كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قوله فصدقه وكذبهم». (الكاف، الكليني: 147). فالحياة في المجتمع لا تستقيم إذا ما أخذنا بالطنة والشبة، ولا بد من إشاعة الثقة بين المؤمنين، وإن استكون الحياة جحيناً إذا ما استندنا للطنة والشبة، وتركنا التثبت.

عن النبي الأكرم (ص) : «أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث، وأدائم للأمانة، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس». (تحف العقول، ابن شعبة الحراني: 46). فالمعايير الحقيقي طبقاً لهذا الحديث هو الصدق، وليس كثرة الصيام والصلة ولا غيرها، لأن الصدق هو المنطلق الذي ترتكز عليه جميع تلك المظاهر العبادية، والثمرة المرجوة منها. فال ihtilal المظاهر العبادية وسيلة للتربية والصدق ثمرة من ثمرات تلك التربية.

لقد كان رسول الله (ص) منذ أيام العصر الجاهلي يعرف بالصادق الأمين، وقد كانت هاتان المفتان شبه معذومتين في العصر الجاهلي. فالإنسان وإن كان يولد على الفطرة في أي مجتمع، إلا أن أخلاق المجتمع تنعكس عليه وينطبع بها، لكن رسول الله (ص) لم يكن نسخة من ذلك المحيط الجاهلي.

فالمجتمع يمكن أن يربى الإنسان على الكذب، بل الأبوان والأسرة، إذ يطرق الباب طارقاً أحياناً، فيقول الأب لابنه : قل للطارق إن أبي ليس في البيت، وهذا يعني أنه علمه الكذب بشكل غير مباشر، بمعنى أن الولد استساغ الكذب، وأصبح يرى أنه غير مستهجن.

فرسول الله (ص) كان يعرف بالصادق الأمين، حتى أنه عند قيامه بأمر النبوة أخرج القوم، لا سيما الكبار، حتى اضطروا للاعتراف بصدقه وأمانته.

وللمصدق أنواع وضروب، منها الصدق في القول مع الناس والمجتمع، وهو أوضح مصاديقه ومعانيه. ومنها

الصدق في الاعتقاد، بأن يكون صادقاً مع الله تعالى. ومنها المصدق في العمل، بأن يكون مخلصاً في عمله، إذ يكون عمله بوجود مدير العمل أو المسؤول أو بعده واحداً، وأن يكون مراقباً لنفسه في ذلك. وكذلك في العلاقة مع الله تعالى، فأنت تصلحي الله تعالى، فإن كانت الصلاة رباءً كذبت على ربك، وهو لا تخفاه خافية، وهو المطلع على السرائر. فلا بد أن تكون النية سليمة عند الصلاة والصيام وقراءة القرآن والمصدقة وغيرها. ومنها الوفاء، فهو نوع من أنواع المصدق، سواء كان الوفاء بالوعد أم العهد أم غيره.

عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاوة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة». (الكافي، الكليني²: 104). فهذا هو العنوان الأبرز لدى المؤمن.

وهنالك الكثير من الأحاديث التي وردت عن النبي (ص) وأئمة أهل البيت (ع) ولكن لا يسع الوقت ذكرها.

هذا ما أحببنا أن ننبه إليه، وصلى الله عليه وآله وآل بيته الطيبين الطاهرين.